المشرق

دار العاديّات المصريّة الجديدة

لجناب الاديب توفيق افندي تزح

احتفلت الحكومة المصريّة احتفالاً رسمياً في ١٥ نوفمبر الماضي تحت رعاية الحضرة الفخيمة الخديويّة بافتتاح دار العاديّات المصريّة الجديدة فرأينا بهذه النسبة ان نأتي على نبذة من تاريخ انشاء هذا المتحف مع ذكر التقلّبات التي طرأت عليه الى الآن وان نذكر شيئاً من اخبار منشئه لانّ المتحف ملازم لمشيّده ملازمة الفرع لاصله ويروق القارئ أن يطلع على ترجمة رجل ترك لمصر ذكرًا يصحّ اعتبارهُ اعظم من الآثار المصريّة نفسها لانهُ جمعها واودع تلك الكنوز التي لا تقدَّر لها قيمة في مكان يليق بها فسهّل للزائرين معرفتها فاخذوا يتقاطرون لمشاهدتها ويزدادون عددًا سنةً بعد أُخرى ولم يكن هذا الامر بالعامل اليسير في تقدُّم مصر وغناها

كثر المؤرخون السيّاح الذين كتبوا عن مصر وعن المباني الشاهقة التي تركها المصريون شاهدًا على عظمتهم وعن باقي الآثار كالتماثيل والآنية المختلفة الاجناس والاشكال وقراطيس البُرْدي والنقوش وغيرها ممّا سُطّر عليه تاريخهم وبيان احوالهم واسماء ملوكهم بدقّة صناعة بالغة في الاتقان يعجز عن الاتيان بمثلها صَنَعَة زماننا ولكنهُ لم يتمكن احد من هؤلاء المؤرخين ان يدرك ما انطوى تحت هذه الرسوم من المعاني فقصرت كتاباتهم على وصف بدائع مصر وظواهر ما وُجد فيها من الآثار القديمة وليس القصد ان نسرد هنا اسماء هؤلاء المؤلفين منذ عهد كتّاب اليونان واولهم

هيرودوتس ثم اسطرابون ثمّ ديودورس الصقلي وغيرهم الى زمن العلماء الذين رافقوا الجنرال بونابرت في غزوته المشهورة والذين دوّنوا ما أطلعوا عليه من احوال مصر على اختلاف انواعها في كتب ورسوم لا تزال الى الآن مستنداً يُرجَع اليه في كثير من الامور

ولمّا اكتشف شمپوليون اسرار الكتابة المقدّسة المصريّة وتوصّل الى حلّ رموزها رفع النقاب الذي طالما حجب مصر واحوال اهلها في الأيام السالفة عن عين الناقد فاتجهت نحوها الابصار واشرأبّت اليها الاعناق وكانت شدّة رغبة العلماء في استطلاع الخفايا المصريّة متعاظمة تعاظُمَ الزمن المديد الذي مضى عليها محتجبة فيه عنهم فزال بذلك الاكتشاف ذهول الباحثين لدى رؤية تلك الآثار الجليلة وما سُطّر عليها من النقوش التي كان يصحّ ان يقال عنها انها رموز خفيّة ولم يبقَ هناك مانع من قراءتها وفهم معانيها. ولمّا تمّ الاكتشاف وانتشرت المؤلفات في علم الآثار المصريّة قدم مصر مندوبو جمعيّات علميّة في اوربّة فقلبوا الارض ظهراً لبطن ليستطلعوا الكنوز الاثريّة التي ردمتها الرمال بعد ان اودعها المصريّون في بطون الارض حرصاً عليها وخوفاً من ايدي المنتهكين لحرمتها(١ ففتحوا المقابر ليأخذوا منها نواويس الملوك والامراء ودخلوا المعابد لينزعوا تماثيل الالهة عن عروشها فكان ما اخذوا من مصر كافياً لانشاء متحف عاديات مصريّة في كل عاصمة من عواصم اوربّة ومع ذلك فلم يكن لمصر محلّ تجمع فيه ما كان يستخرج من ارضها من التحف الاثريّة ولم نذكر مع الذي اندثر منها ما هدمهُ الفاتحون الذين توالوا الحكم في مصر وما حطمتهُ ايدي الجهّال وما سرقتهُ التجّار ليبيعه في الاسواق فكانت الآثار والحالة هذه عرضةً للسارقين وغنيمةً لمن طمع في كسب الاموال ولو لم توفّق ظروف الحال الى تخصيص بناء تجمع فيه شوارد هذه الكنوز لذهبت ادراج الرياح وحُرمت مصر الفوائد العلميّة والماديّة الجمّة التي تستطر سحابها الآن. فساق الحظّ لنوال تلك البغية عالماً فرنساويّاً كان قد اشتهر بشدة الرغبة

١) كان جلّ ما يهتم لهُ المصريّون ان يبذوا لهم قبوراً هي اولى بان تسمى قلاعاً منيعة ليحفظوا بها جثثهم بعد تحنيطها صيانة لها من الفساد وكانوا يسمّون القبر «المنزل» او «المقر الحسن» ولما كانوا يجتهدون في تشييد منازل يسكنون فيها وهم احياء. ولذا فانك ترى اكثر الآثار التي عدّها المؤرخون من عجائب الكون قبوراً كانوا يصرفون في تشييدها كل ما عزّ لديهم فكأنهم لم يحبوا الّا للموت او بالحري لما بعد الموت كما يبيّن ذلك الاب مالون في مقالتهِ عن مدافن سقّارة (ص ٢٥١)

في اقتناص العلوم الاثرية المصرية ونشر المؤلفات فيها لاسيما فيما يتعلق بالآثار القبطية تعنى به اغسطس فرديناد ماريت (Mariette) المولود في بولوني (Boulogne) من اعمال فرنسة الشمالية في ١١ فبراير سنة ١٨٢١ وانهُ لا يهمنا من تاريخه هنا الا ما كان مختصاً بانشاء المتحف المصري ولهذا نصرف النظر عن نشأته وما كان من امره قبل قدومه مصر واكثر ما نكتبهُ عنهُ مقتطف من الدليل الى متحف الجيزة تأليف دي مورغان الفرنسوي ومن كتاب النيل تأليف « وَلِيس بُدج الانكليزي » وغيرهما

وصل ماريت الى الاسكندرية في شهر اكتوبر سنة ١٨٥٠ وكان قد جاء من قبل الحكومة الفرنساوية لدرس النسخ القبطية ومشترى ما يمكنهُ الحصول عليهِ منها فلم يتيسَّر لهُ ذلك لانَّ بطريرك الاقباط كان قد اخفى كلَّ ما لديه من هذه النسخ وامر رؤساء الاديرة ان يضنُّوا بها على كل طالب (١ . وفي اثناء المخابرات الطويلة التي حصلت في هذا الشان كان ماريت يتنقَّل في ضواحي القاهرة لاستطلاع الآثار فزار اهرام الجيزة وسقَّارة ودهشور وغيرها فساعدهُ الطالع بان اكتشف السرابيوم المشهور وهو قبر العجول المسماة باسم ابيس . وكيفيَّة ذلك انهُ كان ذات يوم في سقارة فعثر على ابي هول كان وجد كثيراً مثلهُ في القاهرة وفي الاسكندريَّة وهو من الحجر الجيري وعليهِ نقوش ترى فيها اسم المعبود اوزيريس وبجانبه اسم الثور ابيس واسم سرابيس فتذكَّر قول اسطرابون ان السرابيوم واقع في ارض رمليَّة حيث يوجد تماثيل عديدة لابي الهول كثيرة بعضها ظاهر فوق سطح الارض وبعضها مغطى بالرمال كله او جزء منهُ فانساه هذا الاكتشافُ البطريركَ القبطي والمهمَّة التي جاء لاجلها من باريس فجمع العمَّال وشرع في الحفر في شهر نوفمبر سنة ١٨٥٠ وما زال يكتشف تماثيل ابي الهول الواحد بعد الآخر مجتهداً في تمهيد العقبات التي اقامها في وجهه تجار الآثار ووكلاء الدول فاستنفدت منهُ وقتاً طويلاً وعناء جزيلاً مستعيناً لذلك بنفوذ الحكومة الفرنساويَّة الى ان وصل الى باب السرابيوم في ليلة ١٣ نوفمبر سنة ١٨٥٢ اي بعد ابتداء العمل بسنتين. ثم انتقل الى اهرام الجيزة وباشر العمل هناك على نفقة دوك دي لوين (duc de Luynes) ثم شرع في التأليف وعاد الى باريس نظراً لما لقيهُ من الصعوبات

١) ذلك ما رآهُ البطريرك المذكور وَجَدَّ منهُ على ناتام العالم الانكليزي لسلبهِ الكتب القبطيَّة من يد المصريين واستعماله الطرق الغير مألوفة لذلك

وفي سنة ١٨٥٨ رجع الى مصر وتقرّب الى سعيد باشا واليها فأحبهُ واعانهُ على اعمال الحفائر في اكثر انحاء القطر ثم اذن لهُ بتأسيس متحف للعاديات المصرية فجمع ما كان لقيه من الآثار ولمّا لم تقرّر الحكومة على انشاء بناء يليق بهـا لم يرَ بدًّا من الاكتفاء بحفظها في بولاق على ضفّة النيل اليمنى في منزل البوسطة القديم فسُمّي المتحف متحف بولاق وهو يعرف بهذا الاسم الى الآن عند كثير من الناس. ولا نعلم ما الذي حمل ماريت على ان يقيّد نفسهُ بصيانة الآثار المصرية والحرص عليها بعد ان ارسل منها الى بلاده عددًا وافرًا فان جميع الانصاب (stèles) اي صفائح المقابر المنقوشة التي وجدهـا في جدران السرابيوم ويبلغ عددها الالف او اكثر وباقي الجواهر والتماثيل والنواويس وقراطيس البردي وغيرها التي استخرجها من حفائره العديدة تزين الآن قاعات متحف اللوفر بباريس ومكتبته

ولمّا كثرت اكتشافات ماريت وتراكم ما حصل عليهِ من الكنوز ضاقت الحلات بمتحف بولاق فكنت ترى المومياات الثمينة والاحجار المنقوشة وقفف الحنافس وغيرها مزدحمة بعضها فوق بعض كانها صناديق واكياس بقالة في مخزن عطّار. ثمَّ انَّ مياه النيل كانت تتهدّد البناء كلَّ سنة أيام الفيضان وقد اوشكت فعلًا في احدى السنين ان تبتلعهُ بجميع ما فيهِ من التحف وكان بجواره مخازن كبيرة مملوّة بادوات البناء من خشب وجير ومركّبات كيموية يتصاعد منها الدخان فكانت تنذرهُ بالحريق من جهة اليمين والنيل يشير بالخطر من جهة الشمال. وزد على ذلك ان المحل لم يكن ليفي بالغرض المقصود بهِ من حيث ترتيب الآثار على حسب ازمانها وحلات وجودها وتقريب الفائدة المطلوبة منها للعالم والمتفرج كل بحسب مرغوبهِ. ومع هذا فليس لنا ان نكثر الشكوى من متحف بولاق فانهُ اصل المتحف الحالي الذي تفتخر بهِ مصر وكان قد وضع لهُ العالم الاثري ماسپرو دليلًا سهّل معرفة ما فيهِ على الزائر

ولمّا زادت الاكتشافات في أيام ادارة ماسپرو لم يعد في الامكان ان تبقى العاديات في بولاق فكثر الالحاح على الحكومة بملافاة الامر ومع ذلك فلم يقرّ الرأي على نقلها الّا في سنة ١٨٨٩ (بعد استقالة ماسپرو من ادارة المتحف بثلاث سنوات) (١ وكان

(١) امّا ماريت فانهُ بعد انشاء المتحف باشر الحفر في جميع انحاء القطر وألف كتبًا عديدة لا يسع المقام بذكرها ثم تعين مندوبًا للحكومة المصرية في معرض باريس العمومي سنة ١٨٦٧

ذلك في نظارة المسيو غريبو وكأنَّ الحكومة لم تشأ ان يكون الانتقال سريعاً الى درجة الكمال فأبت انشاء قصر جديد تحفظ فيه الآثار وعيَّنت السراية التي كان شيَّدها الخديوي اسماعيل باشا داراً للتحف الاثريَّة ومع انَّها لم تُبْنَ لهذا الغرض فقد كانت قاعاتها فسيحة كثيرة العدد وموقعها بعيداً عن النيل وخطر طغيانه وقد اتخذت الاحتياطات اللازمة لصيانتها من الحريق وكان الاحتفال بافتتاحها وسمياً في ١٢ يناير سنة ١٨٩٠ بحضور الخديوي الاسبق محمد توفيق باشا ولم يتمكن المسيو غريبو ان يعرض للزائرين سوى خمس واربعين قاعة ولو لم يدركهُ المرض ويجهدهُ التعب لما توقف عن العمل فسلم ادارة الاشغال الى المسيو دي مورغان وكانت المخازن غاصَّة بالعاديَّات وقاعات كثيرة لم يتم ترتيبها فشمَّر المسيو دي مورغان عن ساعد الجدّ فملأ ستًّا واربعين قاعة بسرعة عجيبة. وفي خريف سنة ١٨٩٢ كانت سراية الجيزة تحتوي على احدى وتسعين قاعةً فسيحة او رواق عُرضت فيها آثار اقدم الامم واعظمها علماً وفخراً

ولم تكن سراية الجيزة آخر مقرّ الآثار فانها مع كثرة اروقتها لم يكن وضعها مناسباً لحفظ التحف الاثريَّة على نسق علمي كما ذكرنا وكان جزء كبير من البناء ينذر بالخراب ولم تزل الفكرة متجهة الى انشاء دار مخصوصة يكون وضعها موافقاً لما سيكون فيها حتى اقرَّت الحكومة على طلب المال من صندوق الدين فنشرت الاعلانات في جميع انحاء اوربَّة ودعت اشهر المهندسين الى وضع رسم لمتحف مصري يشيَّد في القاهرة وعيَّنت لهُ محلًّا شمالي قصر النيل وعلى ضفة النيل اليمنى فعُرضت عليها رسوم كثيرة صرف المهندسون كل ما في وسعهم لاتقانها فانتخبت رسماً لمهندس فرنساوي اسمهُ دورنيون

فنقل اليها التحف المصريَّة فكانت اجمل زهرة في روض المعرض واظهرت للشعوب اوربة ما احتوت عليهِ مصر من الآثار الدالَّة على فخرها القديم وحسن صناعاتها وفنونها وكثرة علومها. وكانت وفاته في شهر يناير سنة ١٨٨١ وخلفهُ الاستاذ ماسپرو اما جثته فهي محفوظة الآن في تابوت من الرخام الرمادي وفي اربع زوايا التابوت اربعة تماثيل لابني الهول غيرهُ والتابوت من العاديَّات المصريَّة تبعها في رحلاتها وتنقُّلها. فبعد ان كان في بولاق نُقل الى الجيزة حيث عيَّن لهُ الخديوي الاسبق محمد باشا توفيق محلًّا امام مدخل السراية الرسمي وقد نُقل الآن الى الدار الجديدة بمصر وهو قائم في زاوية البناء القبلية الغربية. وقد اقرت الحكومة المصريَّة على انشاء تمثال لماريت يبلغ ثمنهُ نحو الف جنيه مصري وعهدت بصنعه الى المسيو بوش (Puech) في باريس وميعاد تسليمه في اواخر سنة ١٩٠٣

CONSTRUCTION
DU MUSÉE DES ANTIQUITÉS EGYPTIENNES
AU CAIRE

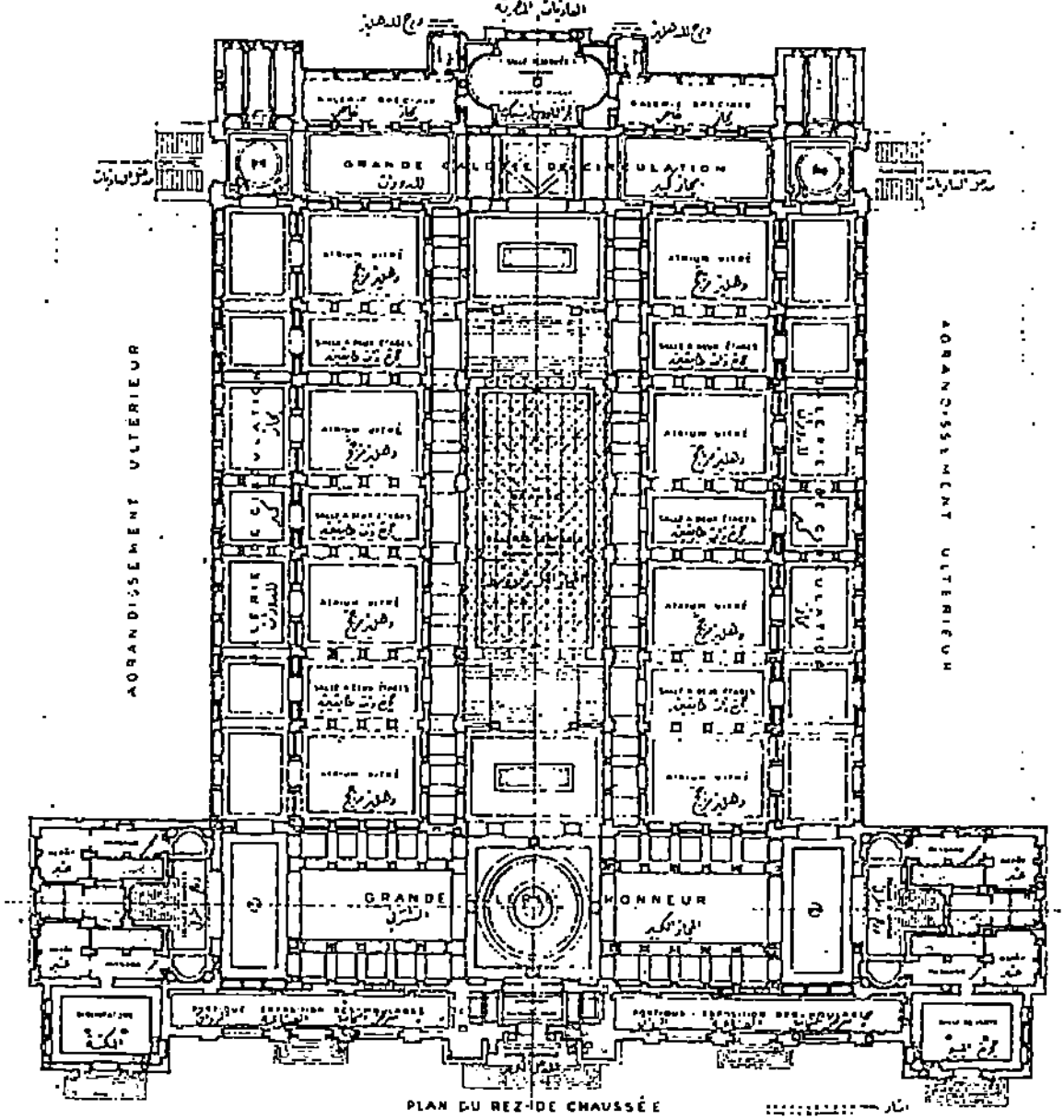

PLAN DU REZ-DE CHAUSSÉE

رسم الطابق الأسفل

(Dournion) واحتفل بوضع اول حجر لاساس الدار الجديدة في غرة ابريل سنة ١٨٩٧ واستلمت مصلحة الآثار البناء نهائيًا بعد اتمامه في اوائل السنة الحاضرة ثم شرعت في نقل التحف وتمَّ العمل بسرعة ودقة عجيبتين اذ لم يستغرق سوى اربعة او خمسة شهور

ويطول بنا الكلام اذا اردنا وصف ما في هذه الاروقة والقاعات من التحف الاثرية المشحونة بالفوائد العلمية والتاريخية والفنية فهي تحتوي بلا شك على اعظم مجموع للآثار المصرية من اقدم تاريخها الى الازمان القبطية والعالم يقرأ على احجارها وصحفها وتماثيلها ما دوَّنهُ الكتاب عن التمدن المصري على اختلاف انواعه وازمانه وقد اكتفينا هنا برسم الطابق الاسفل لهذه الدار الفخيمة ليطَّلع القرَّاء ولو عن بعد على ترتيب المتحف الداخلي ولعلَّ ذلك يكون تمهيدًا لمقالات تفصيلية ننشرها في المستقبل اذا تمكنَّا من ذلك

اما البناء نفسه فهو على شكل مستطيلَيْن قائم الواحد منهما على الآخر وطول الواجهة الكبرى ١٣٠ مترًا وطول الدار من وسط الباب الكبير القبلي الى الطرف الآخر الشمالي ١٣٠ مترًا ايضًا وسيتمّ البناء اذا اقتضت الحال في المستقبل فيصير مربَّعًا كاملًا تكسيرهُ ١٣٠ مترًا مربَّعًا

وقد نُقش على واجهة المتحف الكبيرة في اعلى الباب المتوسط وهو باب دخول المتفرجين كتابة باللاتينية هذا نصُّها:

MONUMENTA PRIORIS ÆVI HIS SEDIBUS COLLOCAVIT
ANNO DOMINI MCM-ABBAS HILMI PRINCEPS
ANNO HEGIRÆ MCCCXVII

اي « انَّ في سنة ١٩٠٠ للمسيح وسنة ١٣١٧ للهجرة قد وضع الامير عبَّاس حلمي في هذه الدار آثار الازمنة الغابرة » وكُتبت باللاتينية ايضًا اسماء الذين حكموا مصر من ملوك الأُسر الثينية (dynastie Thinite) فالمنفية (Memphite) فالطيبية (Thébaine) فالصاحجرية (Sahirite) الى الاسكندرية وكتب ايضًا اسماء من اشتهر من العلماء في مؤلفاته واكتشافاته الاثرية المصرية من هيرودوتس وغيره من القدماء الى علماء هذا القرن

اما ترتيب التحف في الدار الجديدة فلا يصح اعتباره ترتيبًا نهائيًا لان مصلحة

الآثار تبعث فيه ترتيب سراية الجيزة وهذا لم يكن محكماً في بابه ولذا فانك ترى في بعض القاعات من التحف ما تضيق به بينما تجد البعض الآخر يكاد يكون فارغاً وفضلاً عن ذلك فان كثيراً منها موضوع في غير محله فالدار الجديدة لا يصح ان تعتبر والحالة هذه كما قالهُ حضرة مديرها المسيو ماسبرو سوى مخزن للآثار ولكنها ستتحوَّل بهمته الى متحف يسبق متاحف اوربَّة في حسن التنسيق وقد وضع المدير المذكور دليلاً للمتحف ولم يطبع منهُ الَّا نسخ قلائل وسيتم طبعه عن قريب ان شاء الله. وقد صرفت الحكومة المصريَّة في بناء الدار الجديدة وملحقاتها ونقل الآثار اليها نحو ربع مليون جنيه مصري نرجو ان تستعيضها اضعافاً والله يهدي الجميع الى سواء السبيل

الجولان في النوم

لجناب الدكتور الفاضل نابليون ماربني البغداديّ

يظن اليوم طائفة من الناس الاغرار ان الجولان في النوم لهو فصل من كتاب الخزعبلات يقصُّهُ الوالد على اولاده من باب الفكاهة. او يصنّفهُ اهل الصحف سدًّا لما يعوزهم من الاخبار

(أقول) الجولان في النوم مرض قائم بذاتهِ لهُ اسباب ولهُ اعراض ولهُ علاج وبيان ذلك جُلّ غايتي من هذه المُجالة

لمَّا كنتُ في مستشفى الآباء الكرمليين الحفاة ببغداد كان في بيتي خادم اسمهُ يَجُو (جرجس) من قرية تلكيف وهي تبعد ستّ ساعات عن الموصل وكان نحيف الجسم ذا قريحةٍ وقَّادة اسمر اللون قصير القامة. اذا تكلَّم سبق لسانهُ حركاتٌ في كل اعضائهِ الخارجيَّة. وهاك ما رأتهُ عيني وسمعتهُ أذني عن المرض الذي كان مبتلًى بهِ وهو الجولان في النوم

ان شدَّة حرارة بغداد تلزم سكانها النوم على السطح ليلًا في فصل الصيف. وكان خادمي المذكور ينام بالقرب مني لاحتياجي اليهِ عند عيادتي المرضى. فرأيتهُ ذات ليلةٍ قمراء قد قام من فراشهِ بكل هدوٍ وسكون لا مزيد عليهما. واخذ يلبس ثيابه ويلفّ عمامته ويتمنطق بمنطقتهِ بالترتيب حسب مألوف عادتهِ. ثم حزم فراشه بلحافهِ حزمةً واحدةً وحملهُ على كتفهِ وذهب ماشياً على السطح وعيناه مفتوحتان. وكان